



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ندوة العلماء

مدرسة فكرية شاملة

بِقَلْمِ

أَبِي الْحَسْنِ عَلَى الْحَسَنِ النَّدوِيِّ

كانت حركة ندوة العلماء الفكرية التي أسسها مولانا محمد على المونكيرى ، وقادها الأستاذ شبل العمامى و زملاؤه . و دار العلوم التابعة لها ، جديرة بإحداث قنطرة تصل بين الثقافتين ، الإسلامية و الغربية ، والطبقتين : علماء الدين و المثقفين المصريين ، وإحداث فكر جديد يجمع بين مخاسن القديم و الجديد ، و بتعمير أصحاب هذه المدرسة الفكرية ، بين القديم الصالح و الجديد النافع ، و ، بين التصلب في الأصول و الغايات ، و التوسع و المرونة في الفروع والآلات ، كان قادة هذه الفكرة ينظرون إلى مناهج التعليم و برامجه

♦ قد تغيرت الظروف والأحوال في هذا العصر ، إن الاعتراضات التي شغلت العقول وحلقات الدرس قديماً ، قد فقدت أهميتها وقيمتها ، وانقرضت الفرق التي كانت تثيرها وتتشبث بها ، وأصبح العكوف على دراستها وفهمها إضاعة للوقت وجهاداً في غير عدو ، وقد نشأ عالم جديد وتجددت حاجاته ، قد أثار أعداء الإسلام وخصومه أسلحة جديدة في هذا العصر لم تكن تخطر على بال ، و ذلك في ضوء الفلسفة الجديدة ، و لا يمكن إشباع الرد عليها والاقناع العلى بالاعتماد على الفلسفة القديمة فقط ، وإن زعم زاعم ، و السبب في ذلك أن الإنسان لا يستطيع أن يحمل الشبهة ويفهم الخصم إلا إذا عرف ما يقول إليه الاعتراض وعرف الدوافع ، (١) .

♦ إن هذه العلوم اليونانية ليست علوماً الدينية ولا يتوقف عليها فهم ديننا و معرفته ، إن الإمام الغزالى في عصره قد ضم هذه المواد الدراسية إلى مناهج التعليم في عصره لكي يطلع العلماء على الأساليب الجدلية اليونانية التي نشطت في نشرها الفرق الباطنية في ذلك العصر ، و يقاوموا بذلك حركة الالحاد المتفشي في ذلك

(١) مكتاب محدثة - بحث رسائل الشيخ محمد بن المنكيرى .

كأدلة للتعليم قابلة للنمو والتطور ، خاصة حاجة كل عصر ومقتضاه و لم يكونوا ينظرون إليها كأدلة حديدة لا مرؤوبة فيها (مع الاحتفاظ بالروح والأهداف والعلوم الأساسية) وهي عندهم حافلة بالحياة الكامنة والازدهار ، وبتعبير آخر : إن الدين حقيقة خالدة ليست في حاجة إلى تطوير أو تبدل ، و لكن العلم شجرة من هرة مشمرة توى أكلها كل حين و يستمر نموها و ازدهارها ، و الإسلام عندهم دين الإنسانية كلها و دين العصور كلها ، لذلك من الطبيعي أن يمر بمراحل التطور والارتقاء الفكري للإنسان المختلفة ، ويكلف القيادة في بيئات تتغير فيها الأفكار والمفاهيم ، لذلك يجب أن يوسع نطاق التعليم والثقافة الذي يعد مثلي الإسلام و مفسريه ، و يبرهن دائماً على صلاحتها و حيويتها .

وقد رفع مؤسسو ندوة العلماء أصواتهم لاصلاح المناهج وتوسيعها وتطويرها وقد كان هذا الصوت غريباً في الهند التي ظلت متمسكة بالنمط القديم عاضنة عليه بالنواجد ، وكان عافتاً في الأقطار الإسلامية الأخرى كذلك . يقدر ذلك بقطعتين اقتبسنا احداهما من كتابة مؤسس ندوة العلماء الشيخ محمد على المنكيري ، والثانية من كتابة

العلامة شبل النعmani :

وسلح على أحدث طراز ، وبهـا هو في الأول لا يعرف المواجهة
إذا هو في الثاني لا يعرف الجمود .

وكانت حركة ندوة العلامة فكرية ، أكثر من
حركة إصلاح مناهج التعليم فحسب ، وكانت — لو قدر الله —
خطوة مباركة وفتحاً جديداً يستحق التقليد في الأقطار والمجتمعات
الإسلامية التي خاضت في ذلك العهد معركة الصراع بين القديم
و الجديد ، ولكن هذه الحركة لم تحظ بالتعاون الواسع المترحم
الذى كانت تستحقه من كلا الطبقتين : القديمة والجديدة ، لانساع
الفجوة بينهما ، ولو وجود التطرف والمخالفة فيها ، وبعض الخلافات
التي حدثت في صنوف العاملين لهذه الفكرة ، وأخيراً لا آخرأ
لعدم وجود طبقة من الأساتذة وال媢جئين الذين قد تبعروا في
الثقافيين ، وقد أحسنوا هضمها وكونوا من هذه المواد — التي
قد تبدو متناقضة — رحيناً صافياً نافعاً ، كما تعلم النحلة من
الأزهار والأشجار ، ويق معظم الشعب يتأرجح بين طبقتين ،
طبيعة ترى العدول عن القديم ونظمه التعليمية والأنحراف ، عنها
فقط شعرة ضرباً من التحرير أو نوعاً من البدع ، وطبقة تقضي
كل ما جاء من الغرب وتبصره من كل عيب ونقص ، وتعتقد

النصر ، ولكن الآن لا وجود لأولئك الملاحدة ولا تلك العلوم
اليونانية ، و لا يعتقد صدقها و صحتها المتروروـن ولا من يدعى
الفطنة لذلك فقدت تأثيرها و لا خطر على الإسلام اليوم منها ،
وقد احتلت مكانها علوم حديثة وقضايا جديدة و دراسات وأبحاث
جديدة ، وقد أصبح من الضروري أن يطلع علائقنا على الأبحاث
الجديدة والعلوم العصرية المقيدة ليقدموا حلولاً للعطلات الحديثة ،
وليردوا على الشبهات ورداً علياً مؤسساً على الدراسة والتحقيق ، (١).
وأخيراً أدرك القائمون على حركة ندوة العلامة أن هذا
الفرض لا يتم إلا إذا أسسوا مدرسة مثالية ، فأسسوا «دار العلوم»
في لكمبتو عاصمة الولاية الشمالية ، سنة ١٣٦٥ ووضعت أساسها
على مبدأ الجمجمة بين الدين والمال الذي لا يتغير ، وبين العلم الناجي
الذي لا يتجزء ، بين صلابة الحديد في الثبات على العقيدة ، وبين
نعومة الحرير في اقباس العلوم النافعة . فيستأصل الدين في عقيدته
و عبادته جبل ثابت ، إذا هو في علمه و دراسته و تقدمه نهر
عذب جار ، وبهـا هو في نصوص الدين و عزائمه مرابط على
الثغر وحارس للأمانة ، إذا هو في تفسيمه ودعورته جندى مهاجم

(١) حياة شيل ص ٦٠ ، للعلامة السيد سليمان الندوى .

تقوم فكرة ندوة العلماء ودعوتها في الدين والعقيدة ، على الدين الخالص ، التي من الشوائب ، بعيد عن تحريف الغالين ، واحتلال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، وعلى العورة — في تلقience ، وفي فهمه ، وتفسيره — إلى منابع الصافية الأولى ، ومصادرها الصحيحة الأصلية ، وفي العمل والسلوك ، على التمسك بباب الدين ، و العمل بأحكامه ، و التحليل بمحققته وروحه ، و الرابطة المشرقة الصافية ، وفي تصورها للتاريخ ، على أن خير العصور هو العصر الذي ظهر فيه الإسلام ، والجيل المثالى هو الجيل الذي نشأ في أحضان النبوة . وتخرج في مدرسة القرآن والإيمان الأولى ، وأن السعادة كل السعادة في الرجوع إليه و الاقداء به . وفي نظرتها العلية ، وفلسفتها التعليمية ، على أن العلم وحدة لا ينقسم إلى قديم وحديث ، وشرق وغرب ، وإن اقسام فاما ينقسم إلى صواب وخطاء ، ونافع وضار ، وأصول وفضول ، وغایات ووسائل ، وفي موقفها من الأخذ والترك ، و الافتقاء و الاقتباس على التعليم النبوي الحكيم : «الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها » ، (١) وعلى المبدأ القديم الحكيم : «خذ ما صفا ودع

(١) حديث صحيح .

باصحائه العظمة والعبرية ، في جميع الاراء والمذاهب الفكرية . ورغم ذلك كله لا تزال فكرة ندوة العلماء الفكرية الوسط المدققة التي تستطيع أن تتفقد نظام التعليم الديني من الانسياق وتفادي بها الأمة الصراع بين القديم والجديد ، وجود طبقتين متاوئتين متناقضتين ، طبقة علماء الدين ، و طبقة رجال الثقافة الحديثة ، الذي جر على كثير من البلاد الإسلامية شقام ، وكان السبب في كثير من الأحيان في اتجاه البلاد العلماني ، واللاديني . و من يجهل أن الإسلام لا يعرف طائفتين منفصلتين متحاربتين ، أنه لا يعرف دينا لا يتصل بالحياة ، ولا يعرف دينا لا تخضع للدين ، ولو لم يكن لمتخرجي الندوة غير هذه الحسنة ، أنهم وقفوا وسطاً بين هذين الطرفين و كانوا سبب تقاربهم و تعارفهم لكتفاص فضلاً أنهم أثبتوا أنهم لا يعيشون في عزلة عن العالم و في جزيرة منقطعة في بحر الحياة ، فكان منهم أدباء ، و باحثون ، و مؤلفون في لغة البلاد واجتماعيون يشاركون في الحياة ، وكان منهم من كون لنش «الإسلامي الجديد المثقف» مكتبة كاملة (١) .

(١) ملقط من كتابات المؤلف نفسه .

ما كدر ، و في مجال الدفاع عن الاسلام ، و مواجهة تحديات العصر ، على الارشاد الرباني : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وفي أسلوب الدعوة إلى الله ، وعرض محاسن الاسلام ، و إلقاء القول ، على الوصية الحكيمية المأثورة (١) « كلوا الناس على قدر عقولهم ، أتريدون أن يكذب الله و رسوله » ، وفيها اختلف فيه السلف من مذاهب وآراء ، على التحقيق والتطبيق ، وإحسان الظن بهم ، والمقياس العذر لهم ، وترجح ما هو أوفق بالكتاب والسنة ، وأقرب إلى جمع الشمل ، و أبعد عن الفرقه والتنازع ، و أقرب إلى مصلحة الاسلام الاجتماعية (٢) وبالمجمل فهي أقرب إلى مدرسة حكيم الاسلام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوi (المتوفى ١١٧٦هـ) العلية والفكريه ، والكلاميه والفقهيه .

وبذلك فندوة العلماء مدرسة فكرية شاملة ، أكثر من مركز تعليمي يقتصر على تعلم الكتب ، أو العلوم أو اللغات ، و قل بضاعة العلم من جيل إلى جيل ، ومن طبقة إلى طبقة .

(١) مشهورة من أقوال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ووصياته .

(٢) توجد لكل ما جاء في هذا المرتضى من الخصائص والسماء التي تميّز بها ندوة العلماء من بين المدارس الفكرية ، والماهير التعليمية ، شواهد ونصوص في كتابات مؤسسي هذه الحركة ، والقائمين عليها .

ندوة العلماء

حركة ثقافية توجيهية

بقلم :
واضح رشيد النسوى

إعداد منهج تعليمي جديد :

بحاجب حركة إصلاح المنهج التعليمي ، الذي ترجمته ندوة العلماء و رفعت لواده في قوته و صرامته ووضوح ، في آخر القرن التاسع عشر الميلادي ، كما سبق بيانه ، قادت ندوة العلماء حركة إعداد مكتبة قيمة لتنمية الفكر الاسلامي و دعمه ، و للتصدى للغزو التكريي و حملة المستشرقين و تصفيتهم ، و دعم رأس المال البليبي للثقافيين و المتعلدين من المسلمين ، و نقل الرثوة العلية الفكرية إلى اللغات الهندية وخاصة إلى اللغة الأردية ، التي كانت ولا تزال أرقى اللغات الاقليمية في الهند ، و أوسعتها انتشاراً ، و أغناها تعبيراً و أكثراها قبولاً لدى الهندو المسلمين جميع طبقاتهم .

إعداد مواد دراسية تلائم الظروف المتغيرة :

و تومن بالتطور في العلم والأدب ، والتفو في القرىحة و السليمة ، فأنها لا تعتبر منهجاً دراسياً منهاجاً داعماً غير قابل للتغيير، فيمر نظام التعليم فيها بالتغيير و التعديل حيناً آخر .

هذا ، ويحرص المسؤولون عن التعليم في ندوة العلماء على إثمار الكتب الصردية ، و يتبعون هبنة التأليف والنشر في العالم العربي الإسلامي لتزويد دار العلوم بأحدث المطبوعات ، و تجهيز الطلبة بأسع المصادر العلمية و المأخذ لتوسيع فكرهم ، و توزيع اتجاههم العلمي ، و تكوين ثقافتهم الخاصة ، و تيسير مسيرة ركب العلم مع الاحتفاظ بأهداف الدين ، و إقبال كل منفذ لمركب التنصيص الذي يعانيه خريجو المدارس الدينية عادة .

و قد جرب أن خريجي ندوة العلماء بفضل المطالعة الواسعة ، والثقافة العالية ، لا يشعرون بالغرابة والمضايقة في أي مجتمع ، رغم تمسكهم بالتعاليم الدينية ، واعتزازهم بثقافتهم الخاصة .

حملة التغذية الفكرية : شعر رواد حركة الندوة و تلامذتهم ، بأن إعداد منهج تعليمي مهما كان شاملاً و سيدأ لا يستطيع أن يساعد في سائر مراحل الحياة ، فلابد من إعداد مواد للقراءة تغطي جميع مراحل الحياة ، و طبقات الحياة ، و طوائف الناس ، العلامة

و قد أعد أبناء الندوة مواد دراسية تسد حاجة العصر ، و تلائم الذوق الأدبي المتتطور من المرحلة البدائية إلى المرحلة العليا ، قبلت الكتب الدراسية التي أعدها الندويون ، في الجامعات و الكليات المصرية التي تشرف عليها الحكومة بجانب مات من المدارس الدينية التي قبلت التطور في التسيج التعليمي ، وكانت هذه الكتب الدراسية جامحة بين العقيدة ، والعلم والأدب ، لأنها كانت تضم مواد قراءة نزيلة تحدث في الجيل الناشئ على الجمة ، و سمو الفكر ، وللبادي النبلة ، والذوق الأدبي النزيف المتتطور غير الرائد ، وقد قلل أبناء الندوة الفنون العربية البدائية التي كانت تدرس حتى الآن باللغة الفارسية ، فأعدوا سلسلة من المؤلفات في هذه الفنون ، يراعون في ذلك الذهن المتتطور للطالب في الهند ، و قوة حفظه و وعيه ، و المسائل التي تم في ضوء الحياة المتغيرة ، فقد كانت كتب المتقدمين تكتفى مسائل من نحو و صرف قد تكون الحاجة إليها ضئيلة ، بخلاف منهج مديد يسد الحاجة ويسهل عملية الاستحضار و التarin والوعى للطلبة .

وحيث إن ندوة العلماء تضع نصب عينها الظروف المتغيرة ،

كل تيار فكري ، بل تصدوا لكل حركة هدامة تسف الفكر الإسلامي وقاوموها بما كان في وسعهم ، باللسان والقلم ، خلدوا آثاراً لاتمحى في تاريخ السفاح الإسلامي ، وأضاعوا ثروة غنية إلى المكتبة الإسلامية ، ومثلت ندوة العلامة دوراً فعالاً لمواجهة نسق التضامن الإسلامي إثر الحرب العالمية الأخيرة ، وقتة القاديانية والمسيحية ، وإنكار الحديث الشريف ، والتناقض بين رجال المذاهب الفقهية ، وتفشي البدع والأوهام ، وأخيراً تعديل قانون الأحوال الشخصية للسلسين ، وغير ذلك من مسائل حيوية ، سواء أكانت علاقتها بالعلم أو الاجتماع ، فكانت كل مسألة من هذه المسائل تال الأرجحية من علماء ندوة العلامة وخربيجها .

و لما اكتسحت العالم العربي عاصفة القومية والاشتراكية ، والاستخفاف بالدين ، ونهض الطغاة المعاذلون للإسلام وال المسلمين ، وصحت أصوات العلماء المخالفين في أرض المعركة الفكرية إثر حلة اعدامات شنيعة واسعة النطاق ، وتنق طبقة كبيرة في الوطن العربي ، أو اضطهادهم وتعذيبهم ، و استقطبت الأسواق بالمواد السامة المضارة بأقلام المرتزقة ، ارتفع صوت « إلى الإسلام من جديد » من هذه الدار ، ورغم كل حماوة لاسكات هذا الصوت بفرض

[١٣]

منهم ورجال المهن الأخرى ، والميول الفكرية المختلفة .

ثم إن حلة التشكيك التي شنها الغربيون على التاريخ الإسلامي وإثارة شكوك في سيرة السلف الصالح ، و معاملة ملوك المسلمين وقادتهم ، كانت تهدد الجيل الناشئ ، كما شرهد أن المعلمون في الجامعات الذين يعتمدون على مؤلفات الكتاب الغربيين وتلامذتهم يتعرضون مثل هذه الشكوك وعدم الثقة بتاريخهم ، وحياة سلفهم من رجال الفكر والصلاح والقيادة السياسية ، وأكثر من يكون فريسة لهذه الحلة المفرضة المتعلمون والمتلقون ، فصبح لهم ما تكتب به أقلام الكتاب الغربيين بمثابة مصادر عليهة لا تقبل نقاشاً ولا جدلاً .

تفرس بناء الندوة أولاً لهذا الخطير المحق ، فوجهوا اهتمامهم إلى هذا القطاع بدون صرف النظر عن حركة إصلاح المناهج الدراسية والتعليم ، و عكف العلماء الذين كان لهم اتصال عميق مباشر بالحركة التعليمية على إعداد منهج على تفاصي ، و كتابة تاريخ الإسلام بأحدث أسلوب وأرقائه ، ليكون في متناول الجميع ، ويكون سائناً يفتح به الصغير والكبير .

ويشهد التاريخ أن علماء الندوة لم يصمدوا فحسب في وجه

[١٤]

مقدمة لطبقة العلماء الجامعين وعلماء الدين بما في الأوساط العلمية الرقيقة، فكان في كتابه في السيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام ، والدفاع عن الاسلام ، وفي كتاباته في مواضيع النقد والأدب والتاريخ ، ما يلفت انتباه الطبقة المثقفة .

و كان لكتبه ومقالاته في « الجريدة في الاسلام » و « حقوق الذميين » و « مكتبة الاسكندرية » (١) و « نظرية تاريخية على عالمكير » دوى و صدى في الأوساط العلمية ، وفي الطبقة المثقفة الجامعية ، وتأثير كبير في إعادة ثقة الجيل الجديد بالتعاليم الاسلامية والحضارة الاسلامية ، و مكافحة « مركب التقصي » فيها فانه تناول في هذه المؤلفات و المقالات قضايا حساسة أثارها المستشرقون ، وحلت محل المسائل الكلامية العقائدية في الزمن القديم .

و لما ألف جرجي زيدان كتاب « تاريخ العدن الاسلامي » وضم الكتاب تعليقات مضللة ، تصدى العلامة النعماي لهذه الحلة الدقيقة ، بعيدة الاثر ، وألف كتاباً في نقد الكتاب والكشف عن

(١) نفى العلامة شبل النعماي في هذا الكتاب الاسطورة الشائعة عن أمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحرق هذه المكتبة ؛ بمحاجة تاريخية قوية ، وأنه لا أصل لها ، وهو من خبر ما كتب في هذا الموضوع .

الضغط السياسي ، و تضيق نطاق المنشورات ، الجنادر و المجالات التي كانت تحمل رسالة الحق و تكافح التيارات المغيرة ، وجدت حلة الندوين صدى في الأوساط العلمية ، والثقافية و وجدت منذها إليها ، فاتصر الحق بفضل الله .

وقد كانت لسلسلة محاضرات و مقالات نشرت في موضوع « الردة الفكرية » التي انتشرت في العالم العربي ولكتاب « الصراع بين المفكرة الاسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الاسلامية » فضل كبير في فتح العيون وفضح المؤامرة ، كما كانت مجلة « البعث الاسلامي » وجريدة « الرائد » الصادرتان من ندوة العلامة أدلة لنقل هذه الأفكار ، ووسيلة كبيرة لإنجاح هذه الحركة المضلة ، فأحدثت هذه المجالس الفكرية ثورة في الفكر ، وشكلت سداً منيعاً له ، و مصدر قوة وإلهام للطبقة المتعلمة ، فكانت بدون شك ، رادعاً كبيراً ، ووازعاً عن الردة الفكرية في حينها .

و قام السلف من رواد حركة الندوة باعمال جدية لا تقل جهودهم عن جهود أكاديميات عليمة ، فتحملوا هذا العبء الجسيم بأنفسهم ، فكانت أعمالهم بمثابة معلم في الطريق ، سار عليها خلفهم . أحدثت مؤلفات العلامة شبل النعماي الذي كان في الواقع

و علامة على هذا النشاط العلمي ، كان للعلامة اتصال عميق بالحركات الاجتماعية و السياسية في عهده ، و كان لتليذه العلامة السيد سليمان الندوى دور كبير ليس في تخليد التراث، العلمي لاستاذه خص ، بل إنه اكتشف آفاقاً جديدة ، وأبعاداً طريفة لشر العلوم الإسلامية . و سد متطلبات العصر ، فأكمل السيرة النبوية الشريفة التي كان بدأ تأليفها استاذه العلامة شibli التعمانى على النطء الذى وضعه استاذه ، فحقق حلمه ، و خلد مآثره عليهما كانت لب باب مئات الكتب على الموضوع ، بحث فيها مواضيع كانت مثار الشكوك لدى المستشرقين ، و منافذ تضليلهم .

وله عدة مؤلفات قيمة ثالت اعتراف العلماء والباحثين ، منها مجموعة محاضرات في السيرة النبوية الشريفة ألقاها في مدارس وقد نقلت إلى الإنجليزية و إلى العربية (١) . و هي من أجمل ما كتب في العصر الحديث في السيرة النبوية ، و كتاب في تحقيق الأمة و البلدان التي ورد ذكرها في القرآن ، و كان لها اتصال بالأنبياء الذين ظهروا في عصور مختلفة ، و البحث عنها جغرافية

(١) نقلها إلى العربية الاستاذ محمد ناظم الندوى . و صدرت لها عدة طبعات في القاهرة . و دمشق بعنوان « الرسالة الخمنية » .

دسانسه (١) وكذلك كانت مقالاته التي كتبها في « الملال » و « البلاغ » (٢) و قصائد المثيرة ، قد كتبت تاريخ الحضارة الإسلامية و مسلمي الهند من جديد ، و أثرت في الفكر والأدب تأثيراً عيناً . وكان من فضل العلامة شibli التعمانى ، أنه قدم سير المصلحين بلون على أدبي جديد لم يكن مألوفاً قبله ، فألف كتاباً في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه باسم « الفاروق » يعتبر من أقوى ما كتب في هذا الموضوع ، بل في التاريخ الإسلامي و الشخصيات الإسلامية ، و ألف كتاباً يعرف بالأمام الغزالى وأعماله ، و فسفته ، و دفاعه عن الإسلام ، و مكتبه العلمية و القبلية ، و كتاباً يعرف بالشيخ جلال الدين الرومى و فسفته ، و الدور الذى مثله في تاريخ الفكر الإسلامي ، و الاصلاح الدينى ، فج جانب مؤلفاته القيمة في السير ، إن كتابه « شعر العجم » لا يزال يشكل مادة دراسة في الجامعات ، وهو كتاب فريد في نوعه .

(١) هو كتاب « الإنقاذ على تمدن المسلمين » . و قد طبع في مصر والمدن .

(٢) هي قصتان سياستان أنهاهما و أشرف على تحريرها مولانا أبو الكلام آزاد رئيس المؤتمر الوطنى . و وزير المعارف في الجمهورية الثانية - أيامنا . و قد لعبتا دوراً رائعاً في حركة التحرير وإلهاب العاطفة الوطنية والإسلامية .

العثمانية بجیدرآباد سابقاً، فقد درس الفلسفة القدیمة والحدیثة دراسة عميقة ، و سخرها لاثبات العقيدة ، وإبطال الاحاد الذى يعتبره معظم العلماء المترافقين نتيجة حتمية للعلم و الفلسفة ، وأهم كتبه « الدين والعلوم العقلية » (١) و « الدين والعلوم الطبيعية » وكتب في الفلسفة الحدیثة .

و ألف العلامة عبد الحى الحسنى الأمين العام لندوة العلامة سابقاً ، في تراجم العلامة والحكماء والأمراء ، وأعيان الهند ونوابها كتابه « نزهة المواتر و بهجة المسامع والنواظر » و يشتمل على حوالي خمسة آلاف ترجمة ، و الكتاب دائرة معارف الأعلام ، و هو كتاب فريد من نوعه في ٨ مجلدات ، عليه العدة في هذا الموضوع شرقاً و غرباً .

وله كتاب آخر في تاريخ العلوم الإسلامية ونشأتها وتطورها في الهند ، و ما أضاف إليها علماء الهند و زادوا في ثروتها ، مع استيعاب شامل دقيق ، لجميع ما دمجته الأقلام الهندية الإسلامية في العلوم الإسلامية الآلية منها والعلائية ، و الأدية منها ، والمدنية ، منذ أن دخل الإسلام الهند إلى منتصف القرن الرابع عشر

(١) نقلها إلى العربية كاتب هذه المطمور . ونشرت في مجلة «بعث الإسلام» تباعاً .

و تاريخاً ، و لغة و أدباً ، سماء « أرض القرآن » و كان من البحوث المبكرة في هذا الموضوع في الفترة إلى ألف فيها ، و كتاب في العلاقات الهندية العربية ، و سيرة أستاذ العلامة شبل النعمانى ، وهو تاريخ عصر بأسره ، و « الملاحة عند العرب » و « سيرة أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها » و « سيرة الإمام مالك رحمة الله عليه » وكلها نماذج رفيعة للبحث والتحقيق والأسلوب الأدبي الرفيع .

و قد وصفه الدكتور محمد إقبال بأنه مجرّد عيون العلوم الإسلامية و مجرّد من جبال جرداه في أرض صلبة في عصره ، والذي يستحق أن يلقب « بفرهاد » (١) بالنسبة إلى خدماته العلية الأصلية .

و من أبناء الندوة البلاه الذين يمثلون حركة ندوة العلامة و فكرتها خير تمثيل من حيث الجمع بين القديم الصالح و الجديد النافع الأستاذ عبد البارى الندوى أستاذ الفلسفة الحدیثة في الجامعة

(١) هو بطل أسطورة شائعة في الأدب الفارسي . ويضرب به المثل في الوفاء والتفااني والقيام بعهده في متنه العصر وشبه مستحيل . فإن ملك عصره « خسرو » كأنه أن ينجز عيناً من لبن من الجبل فاشتعل بذلك ومات في سجه .

المجرى (١) .

وله كتاب ثالث اسمه « الهند في العهد الإسلامي » و هو حلقة ذهبية من سلسلة كتب الخطوط والآثار التي ألفها المؤلفون المسلمين في مختلف البلاد ، يبحث عن الهند في العهد الإسلامي جغرافية وتاريخاً ، و خططاً و آثاراً ، و حكومة وإدارة ، ويلقى ضوءاً قوياً على دور المسلمين في إنهاض البلاد وترقيتها ، و قيمة الآثار التي خلفوها (٢) .

وهكذا كان المؤلف - بمؤلفاته العربية القيمة - حلقة تعارف و اتصال بين الهند الإسلامية الغنية في رجالها و آثارها و مآثرها العلمية الإسلامية و بين العالم الإسلامي و العربي الذي لا يمكن الاتصال بها إلا عن طريق اللغة العربية ، وقد ظلت هذه الحلقة مفقودة قروناً طوالاً لزهد المؤلفين الهنديين في التأليف في هذا الموضوع في اللغة العربية ، والانصراف إلى اللغة الفارسية . وقد وجدت هذه الحلقة بفضل مجاهود هذا المؤلف الكبير و ملئي هذا الفراغ الموجود في المكتبة الإسلامية العالمية ، وتتشرف ندوة العلامة

(١) نشره الجامع العلمي العربي بدمشق باسم « الثقافة الإسلامية في الهند » في ١٣٧٧.

(٢) طبعت دائرة المعارف العثمانية بجدر آباد في ١٣٩٢ - ١٩٧٢ م.

بأن صاحب هذه المؤلفات القيمة كان من مؤسسي هذه المؤسسة العظيمة و من المشرفين عليها مدة طويلة .

و هذه المؤلفات القيمة التي قد ينوه بها كثير من الجامع العلية ، وهي عمل فرد واحد ، تدل على الروح العلية السامية التي لا تزيد جزاء ولا شكوراً ، و لا تعتمد على مساعدة حكومية ، وهي روح التطوع والاحتساب التي كانت تسيطر على أعمال المؤلفين الخالصين من السلف الصالحين الذين خلفوا هذه المكتبة العظيمة التي تباهر بها الأمة الإسلامية و يتجلّل بها تاريخ العلم والحضارة .

الجامع العلية : كان المسؤولون عن ندوة العلامة ، و المتصلون بهم ، يتحملون عبء مكافحة الغزو الفكري بأنفسهم على افراد ، فأغنو المعلمين بثروة علمية طائلة ، و أنشأوا بمؤلفاتهم القيمة مكتبة زاخرة ، فظهرت خلال هذه الفترة الأولى مؤلفات تعد بحق ، دائرة المعارف في التاريخ ، و السيرة ، و الطبقات ، و لكن كانت هذه الجهد موزعة غير منسقة ، فشرع العلامة شنبلي التعمانى بال الحاجة إلى ترتيب المؤلفين باشمام مركز للبحوث الإسلامية ، فأنشأ بمحاجة علياً في « أعظم كره » في عام ١٩١٥ يسمى « دار المصنفين » ، توقي الإشراف العلي عليه بعد وفاته تلميذه العلامة الدكتور السيد سليمان

الندوى ، و الاشراف الادارى الأستاذ مسعود على الندوى ، و توالى على الاشراف عليه الندويون ، وكان من أعضاء هذا المجمع البارزين ، ومن زملاء العلامة السيد سليمان الندوى الفضلاء ، الأستاذ عبد السلام الندوى ، الذى يعد من توأباع المؤلفين ، والأدباء والباحثين ، و له مؤلفات كبيرة القيمة ، أشهرها كتاب في حياة الصحابة رضوان الله عليهم ، وسيرهم وأخلاقهم ، أسماء أئمة صحابه ، في ثلاثة مجلدات ، وقد ضم هذا المجمع العلى صفوة من الكتاب الندويين الذين ألفوا في المواضيع الاسلامية من علم الكلام ، والتاريخ ، والجغرافية ، والسيرة ، و العلوم الاسلامية الأخرى ، نخص بالذكر منهم الأستاذ معين الدين أحد الندوى الذى تولى إدارة دار المصنفين بعد أستاذة العلامة السيد سليمان الندوى ، و مات قريباً ، و الأستاذ رياست على الندوى ، و الأستاذ صباح الدين عبد الرحمن .

و قد كان لهذا المجمع دور فعال في إنعاش حركة التأليف ، والبحوث العلمية الاسلامية في أنحاء الهند كلها ، ويعتبر هذا المجمع رائد فافلة المؤلفين في الهند ، والافادة من المصادر العربية والفارسية رأساً في لغة أردو . ويصدر المجمع مجلة علمية تضم مقالات علمية وأدبية إسلامية ، تعتبر من أرقى المجلات العلمية في الهند ، وتسمى

[٢٢]

بمجلة « معارف » .
المجمع العلى الاسلامي بندوة العلماء : كان المجمع العلى الذى أنشأه العلامة شبل النعmani . قد ركز جهوده على موضوعات إسلامية علية ، يغلب عليها الطابع التاريخي ، وقد حدثت قضايا وتطورات في العالم الاسلامي مثل حركات القومية ، و الفلسفات المعاصرة ، و الفتن الفكرية ، و التيارات السياسية الجارفة التي تهدى الفكر الاسلامي ، فشعر الأستاذ أبو الحسن على الحسني الندوى أمين ندوة العلماء العام بهذه الضرورة ، و أنشأ مجمعاً علياً مقره في دار العلوم ندوة العلماء لاعداد مواد قرامة تعالج المسائل الحاضرة ، السياسية و الاجتماعية و الكلامية و الشريعية ، و تشرح رسالة الاسلام و صلاحيتها للقيادة في العصر الحاضر ، بأسلوب عصري في مختلف اللغات العالمية ، و الهندية ، فقد كان المجمع العلى المعروف « بدار المصنفين » بأعظم كره ، يركز جهوده على اللغة الاردية ، فأنشئ المجمع العلى الاسلامي بندوة العلماء في عام ١٩٥٩ م ، فركز اهتمامه على نشر البحوث الاسلامية في لغات مختلفة كالاردية ، و الهندية ، و العربية ، و أولى اللغة الانجليزية اهتمامه الخاص .
ومن الواقع الغريب أن اللغة الانجليزية التي عكف المسلمين

[٢٣]

و نظرة في قائمة مطبوعات الجمع الانجليزية تدل على خصامه هذا الاتاج كما وكيفاً ، و توع الموضوعات التي تعالجها هذه الكتب و حسن إخراجها ، و تبرهن على جهود هذا الجمع الوليد رغم قلة الوسائل و قصر المدة ، والله الحمد أولاً و آخرأ .

و في ضوء هذه الانجازات الكبيرة التي حققتها ندوة العلامة في مجالات التعليم ، و الثقافة ، والتوجيه الفكري ، و الدور القيادي الذي مثلته في مكافحة حلقات التضليل الفكري ، و التيارات الصالحة التي اكتسحت العالم الاسلامي ، و العالم العربي حيناً بعد حين ، و أثبتت رجلات وقفوا في وجه كل حركة هدامة ، أو مؤامرة مناوية للإسلام ، يتحقق المتبين للأحداث فراسته شاعر الاسلام و فلسوف الشرق الدكتور محمد إقبال ، وبعد نظره و المعите ، حيث إنه قال قبل حوالى حسين سنة :

« إنني لا أزال أعتقد منذ مدة أن المسلمين في الهند الذين لا يستطيعون أن يجدوا يد المعاونة إلى الدول الاسلامية الأخرى من الناحية السياسية ، يستطيعون أن يقدموا مساعدة كبيرة من الناحية العقلية والفكرية ، وليس من الغريب أن تكون ندوة العلامة

[٢٥]

على دراستها منذ قرن في الهند ، و برع فيها كتاب ، و أدباء ينادضون أبناءها في حذفها و الكتابة فيها ، لم تزل نصيتها المتوقعة من الأدب الاسلامي ، والمؤلفات الاسلامية ، فكان فراغاً جنباً على الشـ الاسلامي المثقف جنابـة كـبـيرـة ، و جعلـه فـريـسةـ التـيـاراتـ الـاحـادـيةـ ، و مـوجـةـ الشـكـ و الـاضـطـرابـ ، فـشـرـ هـذاـ الجـمـعـ عـدـةـ مـؤـلـفـاتـ قـيمـةـ فـيـ اللـغـةـ الـانـجـليـزـيةـ ، اـتـشـرـتـ فـيـ الـعـالـمـ الـاسـلامـيـ ، وـ فـيـ الـقـارـاتـ الـثـلـاثـ ، إـفـرـيقـياـ (ـالـجـنـوـيـةـ)ـ وـ أـمـريـكاـ ، وـ أـورـياـ ، الـتـيـ تـكـلمـ الـانـجـليـزـيةـ ، وـ صـدـرـتـ عـدـةـ طـبـعـاتـ مـنـهـاـ ، وـ لـنـ يـكـونـ مـنـ الـمـفـالـةـ فـيـ القـوـلـ أـنـ لـاـ يـوـجـدـ بـعـدـ بـعـدـ عـلـىـ إـسـلـامـ آـخـرـ أـضـافـ إـلـىـ الـمـكـتـبـةـ الـاسـلامـيـةـ بـالـلـغـةـ الـانـجـليـزـيةـ هـذـهـ الـثـرـوـةـ الـغـنـيـةـ الـوـاسـعـةـ ، وـ قـدـ نـالـتـ هـذـهـ الـمـوـلـفـاتـ الـاـعـجـابـ فـيـ الـاوـسـاطـ الـعـلـيـةـ فـيـ الـهـنـدـ وـ خـارـجـهـاـ ، وـ عـلـقـتـ عـلـيـهـاـ الصـحـفـ وـ الـمـجـالـاتـ الـانـجـليـزـيةـ الـحـرـمـةـ فـيـ الـهـنـدـ وـ خـارـجـهـاـ ، وـ اـعـتـرـفـ بـقـيـمـتـهاـ الـعـلـيـةـ وـ الـأـدـيـةـ اـعـتـرـافـاـ كـبـيرـاـ ، وـ أـئـنـتـ عـلـيـهـاـ ثـنـاءـ عـاطـرـاـ ، وـ بـعـضـ هـذـهـ الـكـتـبـ فـرـيدـ فـيـ مـوـضـوـعـهـ . وـ يـلـغـ بـعـدـ بـعـدـ مـجـمـوعـ الـكـتـبـ الـتـيـ ظـهـرـتـ خـلـالـ هـذـهـ الـمـدـةـ الـقصـيـرةـ إـلـىـ أـكـثـرـ مـنـ تـسـعـينـ (ـ٩ـ٠ـ)ـ كـتـابـاـ فـيـ الـلـغـاتـ الـأـرـدـيـةـ وـ الـانـجـليـزـيةـ ، وـ الـهـنـديـةـ ، وـ الـعـرـيـةـ ، وـ يـلـغـ عـدـدـ الـمـطـبـوعـاتـ الـانـجـليـزـيةـ إـلـىـ ٣ـ٠ـ ،

[٢٤]

أقمع وأجدى من جامعة « على كره » الاسلامية في عيون الأجيال
القادمة للهند الاسلامية في هذه الناحية (١) .



(١) إقبال نامہ ج ١ ص ١٠٨ .

[٢٦]